سلسلة أوراق بحثية

خالد سعيد

الأساس الاقتصادي لاختيار المغرب وطناً لليهود

مركز الابحاث م.ت.ف
2023

14

الأساس الاقتصادي لاختيار المغرب وطناً لليهود

خالد سعيد

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الأبحاث

2023

مركز الأبحاث

مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.

يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية

القدس- فلسطين

تلفاكس: 9702966228 +

email: info@prc.ps

http://www.prc.ps

Research Center P.L .O

Al Quds - Palestine

Telfax: +9702966228

e-mail: info@prc.ps

http://www.prc.ps

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة

2023

تقديم

ترتبط أسماء الأرجنتين وأوغندا وحتى كندا وشبه جزيرة سيناء في ذهن من يبحث في تاريخ مشاريع إقامة دولة لليهود، خاصة في الفترة ما قبل تأسيس الحركة الصهيونية وفي سنواتها

الأولى حينما حتى حسم الأمر في مؤتمرها الثامن عام 1907 بقرار افتتاح «مكتب أرض إسرائيل» الذي وضع الأساس للاستيطان في فلسطين، ثم "وعد بلفور" عام 1917 الذي وفر الغطاء الاستعماري الأوروبي، فصك الانتداب 1922 الذي وضع الخطوات العملية لإنشاء دولة لليهود في فلسطين بغطاء أممي ورعاية الانتداب البريطاني.

يستعرض د. خالد سعيد في هذه الدراسة، مشروعا أو محاولة -ربما تم تجاهلها تاريخيا في سياق الجهد الصهيوني لإقامة دولة لليهود- تتناول مسعى مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل الترويج لفكرة إقامة دولة يهودية على أرض المغرب.

ويسلط الباحث الضوء علىرسالة سرية كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عنها أواخر عام 2020، تشير إلى تفضيل هرتزل مشروع إقامة دولة لليهود على أرض المغرب بدلا من أوغندا.

تستعرض الدراسة أيضا تاريخ اليهود في المغرب ودورهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي قبل الحركة الصهيونية، ثم وصول الأفكار الصهيونية إليهم وتأسيس رابطة «محبو صهيون» في المغرب والاتصالات بين قادتها وهرتزل، وكافة الاتصالات التي أجراها هرتزل مع أطراف دولية أخرى للترويج لفكرة دولة لليهود على أرض المغرب.

كما تتناول الدراسة المراسلات الأخرى التي قامت بها أطراف تبنت فكرة إقامة دولة لليهود في المغرب، حتى وفاة هرتزل عام 1904 وتغلب الصهيونية العملية على الصهيونية السياسية في حسم الجدل حول البقعة التي سيتم إقامة الدولة عليها في مؤتمر الحركة الصهيونية الثامن عام 1907.

ويخلص د. سعيد إلى أن الحركة الصهيونية لم تهتم بيهود المغرب بقدر اهتمامها

بالتبرعـات التـي يمكـن أن يقدموهـا لهـا. ولعـل في هـذا الأمـر إشـارة مبكـرة إلى العنصريـة التـي سـيتعرض لها يهـود «دول الإسـلام والعـرب» في إسرائيـل مـن قبـل الحركـة الصهيونيـة الاشـكنازية التـي كانـت تفضـل هجـرة يهـود أوروبـا البيـض عـلى يهـود الـدول العربيـة والإسـلامية.

بالمجمـل تلقـي هـذه الدراسـة الضـوء عـلى جانـب بقـي مجهـولا، بقصـد أو دون قصـد، وكشـفت عنـه رسـالة غابـت أو غُيبـت لعقـود، لكنهـا تعيـد التأكيـد عـلى أن الكثـير مـن التفاصيـل المتعلقـة بتاريـخ الحركـة الصهيونيـة لا تـزال حبيسـة خزائـن الأرشـيف الصهيـوني، تمامـا كتفاصيـل جرائـم هـذه الحركـة بحـق الفلسـطينيين والعـرب.

د.منتصر جرّار

مدير عام مركز الأبحاث

اقترنت الفتوحات الاستعمارية الواسعة بضغوط ملحوظة على الفئات الوسطى الأوروبية، بما فيها الفئات الوسطى اليهودية هناك، فاتفقت الأخيرة أن تفتش عن حل فريد لأزمتها، فوجدته في ملاذ اقتصادي آمن، يقيها شر ما تعرضت له تاريخياً، على أيدي الحكام الذين لطالما حرفوا سخط شعوبهم نحو الجاليات اليهودية في بلادهم، أولا حتى يتخلص هؤلاء الحكام من دائنيهم اليهود، ويبعدوا السخط الشعبي عنهم ويوجهوه في اتجاه الأقليات اليهودية في بلادهم.

ارتبط هذا البحث بتحول الرأسمالية الأوروبية الغربية إلى مرحلة الإمبريالية فتقاطع الهدفان (هدف الفئات الوسطى اليهودية وهدف الإمبريالية الأوربية الغربية)، إذ وجدت الأخيرة الملاذ الذي تسعى إليه الفئات الوسطى اليهودية ما يمكن أن يخدم الأهداف الإمبريالية، أيضاً.

كيف تعددت البدائل أمام قادة الحركة الصهيونية لاختيار الوطن القومي لليهود، قبرص وأوغندا والأرجنتين، وشبه جزيرة سيناء، وغيرها من الأماكن، على أن أي أحد لم يسبق أن أشار إلى المغرب ضمن هذه البدائل.

مقدمة

شكَّلت الطائفة اليهودية في المغرب أكبر الطوائف اليهودية حول العالم، عدداً وعدة، إذ اعتبر عدد كبير من يهود المغرب أفضل حالاً ويسراً عن غيرهم من بقية يهود العالم، وخاصة يهود العالم العربي، إذ ساهم الاقتصاد القوي لهم في «توطيد» أركانهم في الأراضي المغربية، منذ أن وطأوها، في القرن السادس قبل الميلاد، في وقت ساعدتهم رحابة وسعة صدر أولياء الأمر من المسلمين وسماحتهم الدينية بالبقاء في المغرب، وتكوين ما يشبه الاقتصاد الخاص بهم[1].

1 - חיים סעדון ,קהילות ישראל בארצות המזרח במאות התשע-עשרה והעשרים".. מרוקו, מכון בן-צבי לחקר קהילות ישראל במזרח, משרד החינוך התרבות והספורט, ירושלים, 2004 حاييم سعدون، **طوائف إسرائيل في الشرق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين**، (المغرب: مركز بن تسفي لدراسة طوائف إسرائيل في الشرق، القدس: وزارة التعليم والثقافة والرياضة، 2004).

كان لاقتصاد يهود المغرب، وقوة شأفتهم في البلاد، الدافع الرئيس في تفكير أحدهم، ويدعى هارون بن مشعل، في إقامة «دويلة» أو «وطن» قومي لليهود، في العام 1660م، حينما استتب له الأمر في إحدى مدن المغرب، وبعدما كوَّن شبكة علاقات قوية مع دول أوروبية، اقتصادياً وسياسياً، واحتكم على خزائن كبيرة من الأموال والسلاح، جعلته في مصاف كبار القوم، آنذاك؛ بيد أن مقتله على يد المولى الرشيد، حال دون تحقيق هذا الحلم، حينئذ[2].

بعد مرور حوالي 120 عاماً على تدشين روابط وجمعيات صهيونية في المغرب، والإشارة إلى تبادل رسائل بين تيودور هرتزل (2 مايو/ أيار 1860 – 3 يوليو/ تموز 1904)، مؤسس الحركة الصهيونية وقادتها، فيما بعد، مع الطائفة اليهودية في المغرب، مطلع القرن الماضي، وتحديداً، في العام 1903، ومن قبله مرور مئات السنين على مقتل ابن مشعل، وسقوط حلمه في تكوين دولة يهودية على أرض المغرب، فإن صحيفة إسرائيلية، ناطقة باللغة العبرية، نشرت رسالة غامضة وسرية(3)، رأت أن هرتزل حاول الترويج لفكرة إقامة دولة يهودية على أرض المغرب.

جاء نشر هذه الرسالة الغامضة لهرتزل على خلفية استئناف الاتصالات الرسمية الثنائية والعلاقات الدبلوماسية بين المغرب وإسرائيل، حينما أعلن العاهل المغربي، الملك محمد السادس، في العاشر من ديسمبر/ كانون الأول 2020، استئناف العلاقات بين بلاده وتل أبيب، بعيد اتفاق كل من الإمارات والبحرين على التطبيع مع إسرائيل، والموقَع في البيت الأبيض، برعاية الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، في الخامس عشر من شهر سبتمبر/ أيلول 2020.

2 - حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب.. تاريخ . ثقافة . دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، (الدار البيضاء: د.د.ن، 1987)، ص 125.

3 - نتسحيا يعقوب، «بدلا من أوغندا: حينما أراد هرتزل إعلان المغرب «دولة اليهود»، يديعوت أحرونوت، 2020/12/14. נצחיה יעקב, במקום אוגנדה: כשהרצל רצה להכריז על מרוקו כ"מדינת היהודים", ידיעות אחרונות, 14/12/2020. https://:bit.ly/ly3gsilHa

سـبق للمغـرب إعلانهـا، في الثالـث والعشريـن مـن أكتوبـر/ تشريـن الأول 2000، قطـع العلاقـات مـع إسرائيـل، وإغـلاق مكتـب الاتصـال التابـع لهـا في تـل أبيـب، والمكتـب الإسرائيـلي في الربـاط، احتجاجـاً عـلى السياسـات الإسرائيليـة في التعاطـي مـع الانتفاضـة الفلسـطينية الثانيـة4*، وإعـلان حكومـة تـل أبيـب وقـف «عمليـة السـلام».

حتـى تكتمـل الصـورة وتتضـح، بشـأن فكـرة هرتـزل في تكويـن دولـة يهوديـة عـلى أرض المغـرب، فإنـه يجـدر بنـا مناقشـة تاريـخ يهـود المغـرب، منـذ القـدم، وحتـى تلـك الرسـالة، مـروراً بمـا حاولـه هـارون بـن مشـعل مـن تشـكيل «دولتـه» اليهوديـة في العـام 1660م.

أولا: تاريخ اليهود القديم في المغرب

يعـود تاريـخ الوجـود اليهـودي في المغـرب إلى قـرون عـدة، حيـث تذكـر بعـض الدراسـات أن قدومهـم جـاء، في أعقـاب خـراب الهيـكل الأول5* في العـام 586 ق.م، فيـما تشـير دراسـات أخـرى إلى أنـه «مـا كان يهـود المغـرب في أصولهـم إلا مغاربـة أقحاحـاً رفضـوا في قديـم العهـود، الوثنيـة، واعتنقـوا التوحيـد الموسـوي، لمـا بلغتهـم الرسـالة؛ أي ليسـوا ممـن أجلاهـم الملـك البابـلي نبوخـذ نـصر مـع اليهـود مـن بـلاد الكنعانيـين، في العـام نفسـه، فـما كان كل يهـود الدنيـا مـن بقايـا هـذا الجـلاء، ولا ترجـع أصـول كل اليهـود إلى بـلاد كنعـان، أو هـم مـن نسـل بنـي يعقـوب بـن إسـحاق بـن إبراهيـم عليـه السـلام، ليُعـدوا مـن بـين مـن جـرى عليهـم الجـلاء؛ إذ عـرف يهـود المغـرب هـذه الحقيقـة، واختـاروا أن يسـموا طائفـة، وكفـى»[6].

4 * الانتفاضـة الفلسـطينية الثانية (انتفاضـة الأقـصى)، اندلعـت في 28 سـبتمبر/ أيلـول 2000، وتوقفـت، فعليـاً، في 8 فبرايـر/ شـباط 2005، بعـد اتفـاق الهدنـة، الـذي عقـد في قمـة شرم الشـيخ، وجمعـت الرئيـس الفلسـطيني المنتخـب، آنـذاك، محمـود عبـاس، ورئيـس الـوزراء الإسرائيـلي، حينئـذ، آريئيـل شـارون، وراح ضحيتهـا حـوالي 4412 فلسـطينياً و48322 جريحـاً.

5 * قـام نبوخـذ نـصر، القائـد البابـلي الشـهير، في العـام 586 ق.م، باحتـلال أورشـليم، عاصمـة مملكـة يهـوذا، وقـام بتدمـير هيـكل سـليمان وحرقـه، وسـبا مـا يقـارب العـشرة آلاف يهـودي إلى بابـل، وعرفـت هـذه المرحلـة بالسـبي البابـلي الأول.

6 - أحمد شحلان، **اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة**، (الرباط: دار أي رقراق، 2009)، ص11.

بعـد تدمـير الهيـكل الثـاني، في العـام 70م، هـرب حـوالي 30 ألـف يهـودي إلى منطقـة المغـرب العـربي (المغـرب والجزائـر وتونـس)، وامتزجـوا بالقبائـل البربريـة، في ذلـك الوقـت؛ وأسـس هـؤلاء اليهـود ممالـك يهوديـة في المغـرب، وكانـوا سـبباً في اعتنـاق العديـد مـن البرابـرة، الديانـة اليهوديـة[7]؛ ويمكـن القـول، إن التواجـد الفعـلي لليهـود في المغـرب بـدأ مـع بدايـات القـرن الثالـث الميـلادي، حيـث أقـام الوافـدون الجـدد في أوسـاط قبائـل الأمازيـغ «البربـر» المنتـشرة في مختلـف ربـوع بـلاد المغـرب، خاصـة في المناطـق الداخليـة؛ وكان مـن نتيجـة هـذا أن تأثـر يهـود المغـرب بكثـير مـن العـادات والتقاليـد الأمازيغيـة، وحمـل تراثهـم طابعـاً أمازيغيـاً واضحـاً[8]. فيـما هاجـر بعـض اليهـود مـن الأندلـس إلى المغـرب بـين عامـي 612-613 م، في عهـد الملـك القوطـي سـايزبوت، الـذي اضطهـد اليهـود، آنـذاك، وأمهلهـم سـنة للتفكـير في اعتنـاق المسـيحية، أو الرحيـل عـن إسـبانيا[9].

امتـزج هـؤلاء في فـترات لاحقـة مـع إخوانهـم الذيـن وصلـوا إلى المغـرب مـع الفينيقيـين مـن البحـر الأبيـض المتوسـط، ابتـداء مـن القـرن الثـاني عـشر قبـل الميـلاد، وهـم قلّـة، أو الذيـن لجـأوا إلى المغـرب بعـد طردهـم مـن الأندلـس في العـام 1492م، حيـث توالـت الهجـرات اليهوديـة إلى المغـرب، نتيجـة لعلامـات النفـي والترحيـل والطـرد لليهـود والمسـلمين، في آن، مـن الأندلـس في العـام نفسـه، بسـبب محاكـم التفتيـش[10]، آنـذاك[11]؛ لقـد أجـبر أكـثر مـن نصـف مليـون منهـم على تـرك إسـبانيا والبرتغـال التـي سـكنوها نحـو سـبعة قـرون متصلـة، بسـبب تلـك

7 - «طائفـة يهـود المغـرب»، متحـف الشـعب اليهـودي، تـل أبيـب، 1996. קהילת יהודי מרוקו, מוזיאון העם היהודי, תל אביב, 1996. https://:bit.ly/3GKBr62

8 - أحمـد الشـحات هيـكل، «يهـود المغـرب تاريخهـم وعلاقاتهـم بالحركـة الصهيونيـة، سلسـلة الدراسـات الدينيـة والتاريخيـة»، **مركـز الدراسـات الشرقيـة**، جامعـة القاهـرة، العـدد 35، ص 15.

9 - محمـد عبـد المجيـد بحـر، **اليهـود في الأندلـس**، (القاهـرة: الهيئـة المصريـة العامـة للتأليـف والنـشر، 1970)، ص15.

10 * تأسسـت محاكـم التفتيـش في إسـبانيا، في العـام 1471م، بأمـر مـن بابـا الكاثوليـك، وبنـاء عـلى رغبـة الملكـة إيزابيـلا لتطهـير البـلاد مـن العنـاصر غـير المسـيحية.

للمزيـد: هـدى درويـش، **أسرار اليهـود المتنصِّريـن في الأندلـس.. دراسـة عـن اليهـود المارانـوس**، ط1، (القاهـرة: عـين للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعيـة، 2008)، ص44.

11 - مصطفـى الخلفـي، «يهـود المغـرب والتعايـش اليهـودي العـربي»، الجزيـرة، الدوحـة، 22/12/2004. https://:bit.ly/3AwsObl

المحاكم، بعدما تخلوا عن أملاكهم وأموالهم حيث تفرقوا في الكثير من بلدان العالم، أهمها المغرب وتركيا وفرنسا، واستمر هذا الاضطهاد في إسبانيا حتى أواخر القرن السابع عشر[12].

«لم يقترن تاريخ الإسلام لا في الشرق ولا في الغرب بمثل هذه الفظائع، حتى في أدق الأزمات التي واجهها المسلمون في عهد ملوك الطوائف والموحدين والمرابطين، قد تكون وقعت حوادث فردية، ولكنها لم تأخذ صورة الاضطهاد الرسمي الذي تنظمه الدول، أو الحكومات ضد اليهود، وهذه من أنصع الصفحات لتسامح الإسلام وحماية حكوماته المسلمة للأقليات الدينية، التي تعيش فيها»[13]، وهو ما كان سبباً في مساعدة اليهود على الاستقرار في كثير من البلدان الإسلامية، خاصة المغرب العربي؛ والمتتبع لتاريخ تلك المنطقة من العالم، سيجد أن الملوك المغاربة كانوا يعاملون المواطنين اليهود كـ«أهل ذمة» بالمعاملة نفسها التي يحظى بها المواطنون المسلمون[14]؛ وربما لا يوجد بلد في العالم الإسلامي احتل فيه الوسطاء اليهود مكانة مهمة، ملثلما نالوا في المغرب، حيث تُجمع الكتابات، التي تؤرخ للوجود اليهودي بالمغرب، على الدور الحيوي لهم داخل المنظومة الاقتصادية للبلد، وذلك لتمتعهم بالخبرة اللازمة لاحتراف التجارة والنجاح فيها، ما ساهم في النظر إليهم على أنهم مورد مهم وحقيقي لبيت المال في النظام المخزني، وهو ما جعل السلاطين المغاربة يقربونهم منهم، ويمنحونهم، أحياناً، مناصب عليا في المشهد السياسي المغربي[15].

رغم أنه بموجب «عقد الذمة» لم يكن يسمح لليهود، كأقلية دينية، بممارسة السلطة السياسية، أو تقلد الوظائف في مكاتب الدولة؛ بيد أن مقتضيات «عقد

12 - درويش، أسرار اليهود، ص51.

13 - حسن ظاظا، «اليهود في إسبانيا الإسلامية»، **مجلة الفيصل**، الرياض، العدد 216، نوفمبر/ ديسمبر 1994، ص 35-39.

14 - عبد الهادي التازي، «الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل»، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 21، د.ت. https://ly.bit/3GCzloX

15 - عبد الصمد الزعلي، «يهود البلاط.. حكايات مثيرة لرجال «حكموا» رفقة سلاطين المغرب»، مجلة المساء، الرباط، 2014/2/2. https://ly.bit/3V4Ugpe

الذمـة» لم يتـم الامتثـال لهـا في الكثـير مـن الأحيـان في المغـرب خـلال العصـور الوسـطى، نظـراً لمـا وفـره اليهـود مـن أمـوال دعـم تغـري السـلاطين، ومـا كانـوا يقدمونـه مـن ضرائـب لبيـت المـال[16].

لم يكـن هنـاك أي حـماس مـن دول العـالم لاسـتقبال اللاجئـين اليهـود أثنـاء طردهـم مـن إسـبانيا، فيـما كان الاسـتثناء الوحيـد للملـك محمـد الشـيخ الوطـاسي (1472 ـــ1505م)، وكان مـن بـين الحـكام القلائـل الذيـن فتحـوا أبـواب المغـرب لليهـود بعـد طردهـم مـن الأندلـس عـلى خلفيـة «محاكـم التفتيـش»؛ حيـث اسـتوعب هـؤلاء اليهـود، وأحسـن اسـتقبالهم، ليسـتقروا، بشـكل رئيـسي، في المجتمعـات الحضريـة المغربيـة، ويندمجـوا ويمتزجـوا بالمجتمـع اليهـودي هنـاك، بـل نجحـوا في تشـكيل نخبـة اقتصاديـة واجتماعيـة وسياسـية وحاخاميـة جديـدة[17].

يقـر اليهـود قاطبـة بـأن المغـرب اسـتقبلهم وآواهـم بمنطـق متسـامح، فكانـت أرض المغـرب حاضنـة للجميـع، حيـث «تشـاركوا في مـاء البـئر الواحـدة، وتبادلـوا طقـوس التعبـد عـلى الصعيـد الواحـد، وتسـاكنوا إلى حـد أن تشـارك الأطفـال في حليـب الأمهـات»(18). ولم يكـن الاسـتقرار اليهـودي مسـألة عابـرة، بـل إن ملاحقـة القـوى الأجنبيـة لهـم جعلتهـم يعـددون مواطـن اسـتقرارهم واختلطـوا مـع القبائـل الأمازيغيـة بالمغـرب في الجبـال، حتـى تهـوَّد عـدد مـن أفـراد تلـك القبائـل، بينـما سـيطرت العائـلات اليهوديـة العريقـة مـن نسـل العائـلات اليهوديـة التـي خرجـت مـن الأندلـس عـلى الطوائـف اليهوديـة في الجـزء الشـمالي الغـربي مـن المغـرب، وحافظـت هـذه العائـلات العريقـة حتـى العـصر الحديـث عـلى مكانتهـا القياديـة[19].

كان لقـدم الاسـتقرار بالمغـرب انعكاسـات بالغـة عـلى طبيعـة اليهوديـة المغربيـة،

16 - «يهـود البـلاد.. حكايـات مثـيرة لرجـال «حكمـوا» رفقـة سـلاطين المغـرب»، المغـرب تايمـز، 2022/2/4. https://bit.ly/3i4OZiH

17 - حاييم سعدون، طوائف إسرائيل في.

18 - شحلان، اليهود المغاربة، ص12.

19 - صموئيـل أتينجـر، «اليهـود في البلـدان الإسـلامية 1850–1950»، ترجمـة جـمال الرفاعـي، **سلسـلة عـالم المعرفـة**، الكويـت، العـدد 197، مايـو 1995، ص 303.

حيث أثرت خصوصية البيئة، وتميز الوجود الإسلامي السمح بالمغرب، وما أفرزه من تبلور لسياق حضاري مغاير للسياق الحضاري الغربي، الذي تبلورت من داخله الظاهرة اليهودية الصهيونية المعاصرة، وبدا واضحاً أن الأقلية أو الجماعة اليهودية في المغرب قد صنعت لنفسها بنفسها هوية يهودية خاصة بها، وكونت لها سلطة يهودية مركزية، دينية أو دنيوية، لما اتسمت به البلاد من حاضنة دينية وحضارية، سمحت بتلك الهوية، بل وآوتها وشجعتها على ذلك.

يُعد الوضع القانوني لليهود هو ذاك الذي اعترف به الدين الإسلامي لأهل الكتاب، الذين قبلتهم الجماعة الإسلامية، وضمنت لهم الحماية مبدئياً؛ فهو قانون الذميين الذي قنَّنه الفقة، أو التشريع الإسلامي، وقد تمتعت الجماعات اليهودية داخل هذا الإطار، باستقلال ذاتي كامل، إدارياً وثقافياً، ووضعت لها نظامها الخاص، وكانت لها محاكمها ومالياتها، وكانت تضمن لتابعيها حقهم في التدين والتعليم وتطبيق قانون الأحوال الشخصية[20].

كان السلطان العلوي محمد بن عبد الله (1757-1792م)، المعروف بمحمد الثالث، قد أصدر مرسوماً ملكياً ينصّ على معاملة اليهود في المغرب من الحاكم والإداريين، وسائر المواطنين، معاملة عادلة، وأن تكون لهم المساواة أمام المحاكم، وهي من أزهى عصور اليهود في المغرب، حيث اختار مرفأ مدينة «الصويرة» (جنوب غرب المغرب) كمركز دبلوماسي وتجاري، ضمت عدداً كبيراً من اليهود وكانت نموذجاً للتعايش بين الديانات[21].

من هنا، عاش يهود المغرب في «الملاح» أو «حارة» خاصة بهم، على غرار «حارة اليهود» في مصر، وتم بناء أول «ملاَّح» من نوعه في المغرب، وتحديداً، في مدينة فاس الجديدة، التي دشنت في العام 1276م، وكان هذا الحي جزءاً لا يتجزأ من تلك المدينة؛ ويعزى اسم «ملاَّح» إلى كون ممارسة سكان الحي أو

20 - الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 125.

21 - عبد الحكيم الرويضي، «الوجود اليهودي في المغرب.. من خراب الهيكل إلى تأسيس الكيان»، نون بوست، 2012/2/9. https://bit.ly/3ES4qUf

المكان مهنة معالجة الرؤوس التي يأمر سلطان المسلمين بقطعها وتحنيطها بالملح قبل تعليقها على أبواب المدينة لتخويف السكان[22].

جمع «الملاّح» بين أمرين نقيضين، وهما: الحفاظ على الخصوصية اليهودية داخل المجتمع المغربي ذي الأغلبية المسلمة، وفي الوقت نفسه كان فضاءً للتعايش بين المسلمين واليهود في البلاد، فقد كان بمثابة القلب التجاري والاقتصادي النابض في كل مدينة مغربية يوجد بها، لا سيما «الملاَّح» مدينة فاس، الذي كان مركزاً لتجارة اليهود مع المدن المغربية الأخرى، وهناك «الملاَّح» مدينة الصويرة الذي كان يُسمى «ملاح تُجار السلاطين»، ولم يشتمل على دور ومنازل اليهود المغاربة فحسب، بل على معابدهم ومحاكمهم ومدارسهم الدينية وجميع مؤسساتهم الخاصة، أيضاً، عدا المقابر في بعض المدن التي كانت خارجه أو قريبة منه.

«مثَّل الملاح شكلاً معمارياً خاصاً باليهود داخل العواصم التاريخية للمغرب، ولكنه من خلال تجسيده لوضعية أهل الذمة كان يتمتع بالاستقلال النسبي في تسييره وإدارته وقضائه، ما سمح لليهود بحرية ممارسة شعائرهم داخل الملاح وتنظيم حياتهم الاجتماعية، بشكل حفظ لهم تلك الخصوصية اليهودية، لكنه لا ينفصل عن نسيج المدينة بل كان يعد حلقة تواصل اجتماعي، ونقطة نشاط اقتصادية حية، وبوتقة صهر لحالة التعايش والوئام اليهودي الإسلامي في المغرب»(23). ولا تزال الشواهد العمرانية والتاريخية تثبت أن اليهود المغاربة كانوا تحت حماية السلطان بشكل مباشر، و«الملاح» في المدن المغربية القديمة شاهدة على هذه الحقيقة، فقد كانت تشيد، غالباً، بالقرب من قصر السلطان.

منح الانتماء الأصيل ليهود المغرب إلى منبتهم التاريخي والمعرفي والاجتماعي

22 - «طوائف إسرائيل – يهود فاس، نظرة على الطائفة»، وزارة التربية والتعليم، تل أبيب. קהילות ישראל - יהדות פאס - דיוקן של קהילה, משרד החינוך, תל אביב. https://ly.bit/GBQxLp3

23 - أحمد البهنسي، «الملّاح: المجتمع اليهودي في المغرب»، إضاءات، القاهرة، 2019/7/8. https://ly.bit/3VcCLmi

الـذي لا يعرفـون سـواه، التميـز في الكسـب الثقـافي والمعـرفي، الـذي لا يضاهيـه كسـب مجموعـة يهوديـة أخـرى في مـكان آخـر مـن العـالم. حتـى اشـتهر في الـتراث اليهـودي قولهـم عـن الفيلسـوف اليهـودي المغـربي مـوسى بـن ميمـون[24] (1135 – 1204) «مـن مـوسى [الرسـول] إلى مـوسى [بـن ميمـون] لم يظهـر مثـل مـوسى»[25].

سـمحت هـذه الأجـواء الدينيـة الروحانيـة، والظـروف الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية التـي انتـشرت بـين يهـود المغـرب، بتفكـير أحدهـم في تدشـين «إمـارة» أو «وطـن» قومـي لليهـود في المغـرب، وهـو مـا جسـده فيـما يشـبه رجـال الأعـمال، الآن، هـارون بـن مشـعل، في القـرن السـادس عـشر ميـلادي، حينـما حـاول، فعليـاً، إقامـة هـذا الوطـن. وهـو مـا يسـتدعي الإشـارة إلى هـذه الدويلـة، وإلى ابـن مشـعل نفسـه.

ثانياً: «دويلة» هارون بن مشعل

تمتـع يهـود المغـرب بظـروف معيشـية طيبـة، في حالـة مـن الاسـتقلال الـذاتي، إداريـاً وثقافيـاً ودينيـاً واقتصاديـاً، تحـت مظلـة «أهـل الذمـة» في البـلاد، عـبر مئـات السـنين، حينـما سـادت قيـم التعايـش والتسـامح التـي ميـزت المجتمـع المغـربي عمومـاً، باسـتثناء بعـض الفـترات المضطربـة، التـي ترجـع إلى عوامـل سياسـية واقتصاديـة، ثـم عرفيـة عقديـة، خاصـة في الولايـات أو المـدن المغربيـة التـي كانـوا يقطنونهـا أو يـترددون عليهـا.

التصـق يهـود المغـرب بأنشـطة وحـرف ومهـن بعينهـا، مثـل النجـارة واللحامـة وخيـط الأفرشـة والذهـب والصرافـة، كـما اشـتغلوا في البلاطـات الملكيـة، وكوسـطاء للسـلاطين في التجـارة الدوليـة، فيـما بلـغ نفـوذ بعـض اليهـود شـأناً كبـيراً خـلال

24 * ولـد مـوسى بـن ميمـون في قرطبـة الأندلسـية عـام 1135م، وتـوفي في القاهـرة عـام 1204م، وفي عـام 1159، انتقلـت عائلتـه إلى مدينـة فـاس المغربيـة، حيـث درس في جامعـة القرويـين التـي كانـت مـن كبريـات الجامعـات الإسـلامية، آنـذاك، فتشـبع فيهـا بالعلـوم الإسـلامية والفلسـفية، وبعدهـا انتقـل مـع عائلتـه إلى فلسـطين في سـنة 1165، ولكـن في نهايـة المطـاف اسـتقروا في مـصر التـي عـاش فيهـا حتـى وفاتـه.

25 - ظاظا، اليهود في إسبانيا.

العصر المريني (1213 ــ 1465م)، وحتى العصور اللاحقة، أهمها فترة الدولة السعدية (1554 ــ 1659م)، ووصل ببعضهم الحال أن تملكوا عبيداً سوداً كلهن نساء، تقريباً، للدلالة على مدى الحالة الاقتصادية لهؤلاء اليهود وسط المغاربة[26].

عرفت المغرب مع نهاية الدولة السعدية، وبداية الدولة العلوية (1666)، فوضى وفراغاً سياسياً، ما مهد الأرضية للعديد من الأشخاص من ذوي الجاه والمكانة الاجتماعية، للانفراد بحكم مناطقهم، ومن بين هؤلاء الأشخاص، شخص يهودي الديانة، يدعى هارون بن مشعل، الذي استغل فرصة اختلال الأمور بولاية فاس، أواخر دولة السعديين، فحاول تأسيس مقاطعة يهودية أو «وطن قومي لليهود» في نواحي مدينة بني يزناسن، التي تقع بولاية تازة، ليصبح حاكماً لكل من تازة وفاس معاً [27].

ولد هارون بن مشعل في مدينة وجدة المغربية، وسط عائلة يهودية لها خبرة كبيرة ودراية كافية بالتجارة، حيث ورث عن عائلته الثروة والمجد، جعلته حاكماً لمنطقة تازة[28]، تشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن ابن مشعل كان حاكماً فعلياً لولاية تازة، بعدما جسَّد رموز الجبروت والطغيان، مستغلاً حالة الفوضى والتيه التي شهدتها ولايات المغرب، حيث اعتبرت الفترة التي ظهر فيها هارون بن مشعل، فترة مفصلية في تاريخ البلاد، باعتبارها مرحلة انتقالية بين نهاية الدولة السعدية وبداية الدولة العلوية في المغرب[29]، بعدما خلق لنفسه هالة إعلامية وسياسية، من حيث المال والعدة، فقد عمد إلى تدشين سمعة تلخصت في رغبته بالكبار خيراً، وبالضعفاء بروراً، وبالبلاد استقراراً، ما دفع بالمظلومين والحائرين إلى الثقة به[30]، فيما يبدو أنه تمتع بدهاء سياسي،

26 - الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 125.

27 - يوسف الدحماني، «عندما فكر اليهود في إقامة دولة لهم على أرض المغرب»، يا بلادي، الرباط، 2020/12/17. https://:ly.bit/3i2dltk

28 - «هارون بن مشعل»، المغرب تامزغ، الرباط، 2021/8/31. https://:ly.bit/3i2GeWq

29 - عبد الإله بسكمار، «عندما قلبت واقعة المولى الرشيد وابن مشعل موازين الحكم بالمغرب»، هسبريس، الرباط، 2020/5/17. https://:ly.bit/3AJ1FlT

30 - الدحماني، عندما فكر اليهود.

جعله بمثابة الحاكم الفعلي لمدينة تازة المغربية، لماله الوفير الذي مكَّنه من شراء العتاد والأسلحة وحتى ضمائر بعض الرجال[31].

بنى هارون بن مشعل لنفسه داراً أو قصبة، عُرفت في عصره باسم «قصبة ابن مشعل»، التي وُصفت بـ»الحصن»، كانت تقصدها الجيوش التركية بين الفينة والأخرى، وتحتلها لتتخذها مانعاً في وجه القوات المغربية، أو بوابة للانطلاق منها والاعتداء عليها[32]، بمعنى أن هذا الحصن كان قصراً بمستوى مقر إمارة، حتى إنه كان مجهزاً بالعدة والعتاد والمؤن لسنوات طويلة(33)، ما كان سبباً رئيساً في تحكمه بطرق التجارة المارّة من المغرب إلى الجزائر، يفرض على التجار يهوداً ومسلمين دفع الجبايات، والضرائب على أملاكهم[34].

استعان هارون بن مشعل بابنته «زليخا» كمترجمة للوفود الأوروبية التي كانت تزوره في قصره، حيث كانت تتقن اللغات: العبرية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية، فضلا عن اللغة العربية واللهجة المغربية [35]، من أجل مساعدته في تحقيق الأمن والأمان، وتوطيد حكمه، كأحد أسباب تحكم ابن مشعل بطرق التجارة المارة من المغرب إلى الجزائر، وذلك للدلالة على مدى نفوذه في المنطقة الواقعة شمال شرقي المغرب.

من هنا «كان من الجائز أن ينوب المغرب عن فلسطين، فدولة إسرائيل كانت بالفعل على وشك أن تقتحم مدينة تازة، ثم تعم فاساً لتنساب منها إلى البلاد الأخرى، والسلطة التي كان يتمتع بها هارون ابن مشعل، سواء من حيث المال، أو العدة، كما أن السمعة التي خلقها لنفسه، والتي كان يضيفها على شخصه ربما دفعت المظلومين أو الحائرين إلى الثقة به، ولكن حادثة وقعت

31 - «ملف العلاقات اليهودية مع العائلة المالكة»، المركز العالمي لتراي يهود شمال أفريقيا، القدس. מערך היחסים יהודים עם בית המלוכה, המרכז העולמי למורשת יהודי צפון-אפריקה, ירושלים. https://:bit.ly/3GDiang

32 - عبد الهادي التازي، «إمارة ابن مشعل اليهودية»، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 203، د.ت. https://:bit.ly/3V9GPUP

33 - ملف العلاقات اليهودية مع العائلة المالكة.

34 - بن مشعل، المغرب تايمز.

35 - الزعلي، يهود البلاط.

في منطقة ابن مشعل أثارت انتباه هؤلاء المترددين»[36].

يروي المؤرخون أن ابن مشعل كان طاغية، فكثُر أعداؤه، حتى من كبار التجار اليهود في المدينة نفسها، الذين رغبوا في تقديم المال والعتاد من أجل القضاء عليه، وبلغ جبروته حسب أسطورة نقلتها الروايات التاريخية، أنه كان يُجبر القبائل على أن تهديه فتاة مسلمة عذراء، في كل سنة، ففي كل عيد حصاد يهودي، تختار تلك القبائل المحيطة بمدينة تازة أجمل فتياتها العذارى، وتقدمها هدية له مقابل شراء الأمن والأمان منه. و»سجلت المصادر التاريخية أنه كان له تطاول دائم على الدين والمقصود على المسلمين المغاربة وقد تجبَّر عليهم، واعتدى على عفاف الناس وحرماتهم، وبلغ به العتو أن مزق طفلا بسيفه أمام ناظري أمه الثكلى، وهو ما كان سبباً رئيساً في مقتله، فيما بعد، حيث اجتمع وجهاء القوم، آنذاك، وعلى رأسهم السلطان العلوي، المولى الرشيد، والشيخ اللواتي، للاتفاق على إنهاء حياة هذا اليهودي»[37].

«اقترح الشيخ اللواتي أن يهيئ للسلطان المولى الرشيد خمسمئة أو نحوهم من إخوانه الأبطال (من طلبته في مصادر أخرى)، ويضعهم تحت تصرفه، ليفتك بهذا اليهودي، غيرة منه على دينه، أحاط هؤلاء الطلبة بدار هارون بن مشعل، بعد أن أظلم الليل، بحيث لم ينتبه لهم أحد، وبشكل يجعل الرشيد يتصل بهم إن احتاجهم، فقد احتال حتى التقى باليهودي في خلوته، وتؤكد بعض المصادر أنه تنكر في زي فتاة، لأنه كانت تهدى له إحدى الفتيات المسلمات، غصباً، وبشكل سنوي، فبطش به وقتله؛ ويلتبس حادث القتل، أيضاً، بمشاركة هؤلاء المريدين أو الطلبة بأن اختبأوا في براميل حملت كهدايا إلى دار ابن مشعل، ثم استولى الرشيد على أمواله وممتلكاته ومقتنياته النفيسة، وزَّع أكثرها فيما بعد على أنصاره ومن مَال إليه، خاصة أن إرث ابن مشعل كان كبيراً وضخماً»[38].

36 - التازي، الدولة العلوية.

37 - بسكمار، عندما قلبت واقعة.

38 - أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 3، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ص 24.

كان مقتل هارون بن مشعل، في صيف العام 1663 نهاية لإقطاعي ظالم، ونقطة تحول فاصلة في مسار التاريخ المغربي، وقلبت ميزان القوى لصالح السلطان المولى الرشيد، المؤسس الفعلي والحقيقي للدولة العلوية، حيث استفاد من أملاك ابن مشعل لتجهيز جيش قوي سار به نحو مدينة فاس بهدف استرجاعها[39].

يبدو أن الأساطير والخرافات قد طالت هارون بن مشعل[40]، وإن أجمعت الروايات التاريخية المكتوبة على أنه كان «جباراً» في الأرض، وحاكماً فعلياً لمدينة تازة المغربية، ولم تشهد البلاد في عصره أفضل منه في أمور التجارة، وامتلك من الأموال والعتاد ما لم يملكه أي نظير له، في عصره، وكان جبروته هذا، وبالاً عليه، إذ كان سبباً في مقتله، وعدم تحقيق حلمه.

بعد مرور حوالي ثلاثة قرون على محاولة هارون بن مشعل إقامة دولة يهودية في المغرب، حاولت الحركة الصهيونية نشر أفكارها بين ربوع القطر المغربي، بهدف جذب المعونات المالية من يهودها، فضلا عن تزايد الاضطهاد والاعتداءات على يهود روسيا، أواخر القرن التاسع عشر، فاندفعت أعداد كبيرة منهم للهجرة باتجاه مناطق وسط وغرب أوروبا، وبعضهم ذهب لدول المغرب العربي، خاصة المغرب، ما دفع بالحركة الصهيونية إلى التفكير في أكثر من خيار لتوطين هؤلاء اليهود في وطن قومي واحد، واختلفت الروايات، ما بين الأرجنتين، وأوغندا، وشبه جزيرة سيناء، وغيرها، ثم برزت المغرب كوطن لليهود.

ثالثاً: نشر الأفكار الصهيونية بين يهود المغرب

نجحت الأقلية اليهودية في المغرب في تشكيل امتزاج واضح بين التنوع الديني والثقافي، خاصة مع حالة الرحابة والسماحة الدينية التي منحتها لهم نظم

39 - عمار قردود، «اليهود فكروا في إقامة دولة لهم على أرض المغرب مرتين»، أفريكا نيوز، الرباط، https://ly.bit//:3V4BKND/2021/12/26

40 - ملف العلاقات اليهودية مع العائلة المالكة.

الحكم المتوالية في البلاد، حيث انتشر اليهود في أرجاء واسعة من المغرب، عبر نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي، فهناك يهود الداخل وجبال الأطلسي الذين عاشوا في كنف القبائل الأمازيغية، وهناك يهود الساحل وهم يهود الإسبان الذين توافدوا على المغرب بعد سقوط دولة الأندلس وطرد اليهود والمسلمين، واستقر هؤلاء في البداية بالمدن الساحلية، مثل الرباط والصويرة والعرائش والقنيطرة وطنجة وتطوان، وبعد استقرارهم المادي والمعنوي، بدأوا التنقل إلى المدن المغربية الداخلية، مثل فاس ومراكش ومكناس، لتزيد سطوتهم الاقتصادية والسياسية، أيضاً.

كان ليهود المغرب كما ليهود شمال أفريقيا عامة علاقة بالحركة الصهيونية، حيث رأت الأخيرة أن يهود المغرب يتمتعون بميزات مختلفة عن غيرهم من يهود العالم، لما تمتعوا به من قدر كبير من الحرية السياسية، وأتيحت لهم حرية الحركة والتعبير عن الرأي، وهي الحالة الفريدة في دول العالم، التي جاءت على خلفية حرية الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي تمتعوا بها داخل المدن المغربية قاطبة، ولنا في دويلة هارون بن مشعل مثل واضح على ذلك، حيث ارتبطوا بقضايا اليهودية العالمية والحركة الصهيونية.

عمد يهود المغرب إلى تكوين علاقات سياسية واقتصادية مع الدول الأوروبية، كما اعتمد حكام هذه البلدان في علاقاتهم التجارية مع أوروبا، إبان القرن الثامن عشر على التجار اليهود، الذين اشتغلوا بالوساطة التجارية بينهم وبين هذه البلدان، فحصل هؤلاء الحكام من اليهود على حقوق التصدير للبلدان الأوروبية بشروط أفضل من غيرهم. وكان على رأس هؤلاء جميعهم، الذين أطلق عليهم لقب «סוחרי המלך أي تجار الملك»، ظهروا في أواخر الخمسينيات من القرن التاسع عشر، وهم فئة من يهود المغرب نجحت في تكوين علاقة وطيدة بالقوى الأوروبية، ويهود الدول الأوروبية، ما سهَّل عملية التجارة بين المغرب وهذه الدول[41].

41 - شحلان، اليهود المغاربة.

وبلغ عدد يهود المغرب في هذه الآونة، حوالي ربع مليون نسمة، كانوا حلقة الوصل الرئيسية بين المغرب والدول الأوروبية[42].

نتيجة لتأييد يهود المغرب للأوروبيين، وللإصلاحات التي كانت تنفُّذ في بلادهم بضغط من الأوروبيين، ونتيجة لمعرفتهم بلغة وتقاليد هذه البلاد، أيضاً، فإن بعض اليهود اشتغل إما عميلا للقوى الأوروبية أو شريكاً في الصفقات التجارية التي كانت تنفذها الشخصيات القيادية، وحرص هؤلاء التجار الذين انتموا للطبقة البرجوازية، وعلى خلاف ما فعله التجار اليهود في العصور السابقة على استثمار أموالهم في الخارج، أو تحويلها إلى وسائل للإنتاج، واستغل اليهود الرعاية التي منحتهم إياها القنصليات الأجنبية، وعلاقاتهم الدولية المتشعبة للحفاظ على مصالحهم[43].

حرص القناصل ورجال الأعمال الأوروبيون على التقرب إلى اليهود وإشراكهم في عملياتهم التجارية، وخاصة بعد أن اتضح لهم أن يهود المغرب ينعمون بالأمن والاستقرار، وكان التجار اليهود بالمغرب من أوائل التجار الذين حرصوا على شراء أسهم الشركة البحرية الفرنسية، وكان من أبرز هؤلاء التجار كل من: كوركوس والمالح وأفرياط وأوحنا، ولذلك حينما أسس إخوان بريير في عام 1881، بنك «ما وراء الأطلنطي»، فقد اختاروا أبناء عائلة كوركوس لتمثيلهم في أوغادير ومراكش، وكان معظم ممثلي القناصل الأجانب بالمغرب، حتى نهاية عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر، من اليهود[44].

رغم النشاط الاقتصادي والاجتماعي الواسع ليهود المغرب، وتزايد قوتهم السياسية بمرور الوقت، فإنه كان من بينهم فقراء، إذ ليس من المعقول أن يكون كل يهود المغرب من أثرياء القوم، فكان من بينهم الفقراء والفقراء المعدمون، أيضاً، وهو ما استغلته الحركة الصهيونية، ولعبت عليه في محاولة لاستقطابهم في تأييد أفكارها الاستعمارية.

42 - سعدون، طوائف إسرائيل، ص 17.
43 - أتينجر، اليهود في البلدان الاسلامية، ص 287.
44 - المصدر نفسه، ص 288.

أثيرت قضية 150 ألف يهودي مغربي بوصفهم يعيشون فقراء، أثناء المؤتمر الصهيوني الأول، في العام (1897)، ووعد تيودور هرتزل في المؤتمر الرابع، في العام (1900)، الذي عاب عليه أتباع الحركة الصهيونية عدم شموله يهود المغرب برعايته، وقرروا في هذا المؤتمر إرسال عضو من لجنة العمل الصهيوني إلى المغرب، لأنه وجد في هذا البلد «يهودا هم أكثر ملاءمة للاستنبات في فلسطين»، وأعلن في المؤتمر الخامس سنة 1901، عن وجود تجمعات صهيونية في طنجة وتطوان والصويرة وفاس ومراكش، وقد بعث هؤلاء برقيات تأييد المؤتمر[45]، ما يعني أن يهود المغرب لم يغيبوا عن الصهيونية العالمية، أو السياسية تحديداً، منذ ولادتها، وإن كان الهدف الرئيسي منها هو تجميع المعونات فحسب.

نظر أغلبية يهود المغرب إلى الحركة الصهيونية من منظور ديني بحت، وفسروا الفكر الصهيوني بفكر ممزوج بالورع الديني والتقاليد المسيحانية التي ظلت مستمرة بينهم بقوة، بفضل الممارسات الدينية، وتعاملوا مع مسألة الهجرة باعتبارها فريضة دينية، مثل زيارة الأماكن المقدسة والموت فيها، أو تلقي العلوم الدينية، ولم تكن لديهم أي معرفة بالفكر الصهيوني المعاصر، ولذلك جاءت أساليب استجابتهم للنشاط الصهيوني متوافقة مع هذا المفهوم الديني، فشملت شراء الشيكل الصهيوني (حيث اعتقدوا أنهم إذا ما دفنوا مع هذه السندات بالمغرب، فإن أجسادهم سوف تنقل بمعجزة ليدفنوا بجبل الزيتون بفلسطين)، وكذلك جمع التبرعات، وتنظيم حملات دعائية لترويج أسهم الاستيطان الصهيوني، وهو ما كانت تصبو إليه الحركة الصهيونية. وتعامل يهود المغرب مع مبعوثي الحركة الصهيونية من منطلق تراثهم الديني المسيحاني، على أمل أن هذا سيعجِّل من الخلاص الروحاني وتحقيق الوعد الإلهي، وبدافع من العاطفة الدينية والرابطة المقدسة مع يهود فلسطين، وعلى هذا الأساس قام النشاط الصهيوني في المغرب[46].

45 - شحلان، اليهود المغاربة، ص 297.

46 - الشحات هيكل، يهود المغرب، ص 68.

حسب رأي أحد أفراد الطائفة اليهودية المغربية، فقد ظلت تلك الطائفة في غالبيتها الساحقة غريبة عن غوايات الغرب، ومتشبثة بقيم يهوديتها التقليدية ووفية في آماله، وقد وجدت نفسها جاهزة عندما حانت اللحظة للهجرة بشكل جماعي إلى إسرائيل، متجاهلة اعتبارات الواقع السياسي ومستجيبة لنوازع خلاصية روحية ومحققة بذلك حلماً ألفياً، ليستقر أغلبها في دولة إسرائيل[47]. فيما تناسى يهود المغرب أن بلادهم أوسع في مجال المعرفة، وأرحب في التقديس في مجال التعبُّد، وأفسح في السير في كسب العيش، وإذا «كانت القدس في فلسطين تعد عند اليهود رمزاً دينياً، فإن يهود المغرب لم يخصوها بذلك وحدها، بل أشركوا معها مدنهم المغربية التي مكنت لهم العيش، وفي المعرفة، ومكَّنت لهم في هناء التعبُّد؛ ولقد اعتبر يهود المغرب فاس قدساً، ومراكش قدساً، وتطوان قدساً، واعتبروا تخوم الصحراء المغربية منازل، كمنازل موسى في سيناء»[48].

لم تكن هناك صهيونية بشقها السياسي العلماني في أوساط يهود المغرب، وإنما وجدت صهيونية تحمل الخلاص المسيحاني، حيث نُظِر للصهيونية على أنها امتداد لليهودية. وفي السياق نفسه، لم تكن السلطات المغربية واعية خلال القرن التاسع عشر بأهداف الحركة الصهيونية ومشروعاتها السياسية، وكانت تخلط بين جمع الأموال وإرسالها للمحتاجين من اليهود ذوي الأصول الغربية في فلسطين، والإعداد للحركة السياسية التي تريد أن تحقق أهدافها من وراء حدود المغرب، ولعل الغالبية العظمى من اليهود المغاربة ما كانت هي الأخرى تعي خبايا وخفايا أهداف الحركة الصهيونية.

أدى وجود أرضية فكرية وسط اليهود المغاربة المهيأة لاستيعاب الأطروحات الصهيونية وإعادة نشرها في الداخل، مناسبة لبلورة عمل تنظيمي متزايد للصهيونية في البلاد، فرغم تسرب النشاط الصهيوني داخله منذ 1897، مع

47 - فيليب فارج ويوسف كرباج، **المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي**، ترجمة بشير السباعي، ط1، (القاهرة: دار سينا للنشر، 1994)، ص112.

48 - شحلان، اليهود المغاربة، ص14.

قـدوم الدكتـور زيمـيـغ سـيفاكوف ـــــ وهـو صهيـوني مـن أصـل روسي ـــــ إلى المغـرب، فـإن البـدء الفعـلي في تأسـيس خلايـا صهيونيـة محليـة كان سـنة 1900. ففـي هـذا العـام أنشـأ دافيـد بوخفـوط، تنظيـم «أبـواب صهيـون» (ארגון "שערי ציון") في مدينـة أغاديـر، التـي تأسسـت، تحديـداً، صيـف العـام 1900، حيـث أرسـل خطابـاً إلى هرتـزل أخـبره فيـه بإقامـة رابطـة صهيونيـة تحـت هـذا الاسـم، وطلـب منـه الحصـول عـلى نسـخة مـن القوانـين التأسيسـية للمنظمـة الصهيونيـة، لـكي تسـير عـلى منهجهـا[49].

مـع تأثـر يهـود المغاربـة بالمهاجريـن الجـدد، ونظـراً لاتسـاع رقعـة الاقتصـاد في بلادهـم، ووجـود الأرضيـة السياسـية المناسـبة لاسـتيعاب الأفـكار الصهيونيـة، بـادر بعـض الناشـطين المحليـين مـن يهـود مدينـة صـافي بإقامـة رابطـة صهيونيـة حملـت اسـم «محبـو صهيـون» (ארגון "אהבת ציון") بعـد أن تأثـروا ببعـض الصحـف العبريـة التـي وصلـت إلى مدينتهـم، مثـل صحيفـة «همليتـس[50]» «الفصيـح» وصحيفـة هيهـودي[51] «اليهـودي» (עיתון היהודי).

في 17 مـارس/ آذار 1903، أرسـلت الرابطـة خطابـاً لهرتـزل، قبيـل انعقـاد المؤتمـر الصهيـوني السـادس، جـاء فيـه: «إن الوضـع الراهـن لإخواننـا مـن اليهـود خطـير للغايـة، مـا يسـتدعي قيـام قـادة الحركـة الصهيونيـة بتقديـم المسـاعدة والنهـوض بهـم، وفي الوقـت الحـالي الـذي تشـتد بـه قـوة الحركـة القوميـة، فـإن نـصرة إسرائيـل مـا زالـت تتلـكأ، وإذا اسـتمر الوضـع عـلى مـا هـو عليـه، فـإن الآمـال التـي يعقدهـا شـعبنا عـلى المسـتقبل سـتتبدد»[52].

أعربـت الرابطـة في خطابهـا ـــ لم يتأكـد الباحـث مـن كـون هـذا الخطـاب مغايـراً

49 - إكـرام مسـاك وشريفـة صالحـي، **النشـاط الصهيـوني ليهـود المغـرب العـربي (1897-1967)**، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، جامعـة الشـهيد حمـه لخـضر ـ الـوادي، الجزائـر، 2018، ص55.

50 * صحيفـة همليتـس: هـي أول صحيفـة عبريـة صـدرت في روسـيا، 1860 م، وقـد صـدرت كمجلـة أسـبوعية وصحيفـة يوميـة إلى توقفـت عـن الصـدور عـام 1904.

51 * صحيفة "يهودية": يهودية أسبوعية صدرت في براتسلافا في سلوفاكيا.

52 - أتينجر، اليهود في البلدان، ص 412.

لما سبقت الإشارة إليه، أم هو بالفعل ـــــ لهرتزل وقادة الحركة الصهيونية عن استعدادها لخدمة الفكرة الصهيونية، وأشارت الرابطة إلى أنه ليست لدى أعضائها أي معرفة صحيحة أو فهم واضح عن كل ما يتعلق بالصهيونية، وطلبوا منه إرسال القوانين التأسيسية للمنظمة الصهيونية، وكذلك كل الكتب العبرية التي تشرح جوهر الفكر الصهيوني، بل أعلنت الرابطة، هرتزل، رئيساً شرفياً لها[53]. بيد أن المؤسسات الصهيونية لم تبد اهتماماً كبيراً بيهود المغرب، وربما بيهود شمال أفريقيا، بوجه عام، إلا أن مراسلات المؤسسات الصهيونية المركزية تتضمن تفاصيل عديدة توحي بأن قادتهم أولوا الاهتمام بترويج الشيكل الصهيوني، وأسهم صندوق الاستيطان في المغرب، لذلك أرسل رئيس رابطة «محبي صهيون»، في مدينة صافي، خطاباً إلى هرتزل، أعرب فيه عن إحساسه بالدهشة من موقف الحركة الصهيونية غير المبالي بوضع يهود بلاده، وعلى ضوء هذا الوضع، أحس كثير من يهود المغرب أن المؤسسات الصهيونية تعد بمنزلة هيئة خيرية يقتصر دورها على جمع التبرعات، وظل هذا الإحساس مسيطراً على نفوس يهود المغرب، لفترة طويلة[54].

وقَّع على هذا الخطاب كل من مائير برشيت الذي انتخب رئيساً فخرياً للجمعية، وجاكوب مورشيانو سكرتيرها، إلا أن الأول هو من كتب الرسالة بيده، التي كتبت بالخط الراشي[55]، ويبدو فيها الإعجاب الشديد بهرتزل وحركته الصهيونية الناشئة، بل مليئة بالتفخيم والتبجيل لزعيم الحركة الصهيونية، واصفة إياه بـ»الرئيس الجليل والعاشق لشعبه والمجد لأمته والسيد الفاضل... وغيرها»[56].

53 - الشحات هيكل، يهود المغرب، ص 71.

54 - أتينجر، اليهود في البلدان، ص 417.

55 * أحد خطوط كتابة اللغة العبرية، نسبة إلى الحاخام شلومو يتسحاقي (1040- 1105م)، وهو حاخام فرنسي من العصور الوسطى، اشتهر بكتابة تفسير شامل للتوراة، وكذلك تفسير شامل للتناخ، فيما يعد مرجعاً أو أباً لكل التفسيرات التي تلت تفسيره للتلمود والتناخ.

56 - يوسف شيطريت، «رسالة من مؤسسي جمعية «محبي صهيون» الصهيونية إلى بنيامين زئيف»، أرشيف مكتب المؤتمر الصهيوني في فيينا، 1903. יוסף שיטרית ,מכתב מאת מייסדי האגודה הציונית "אהבת ציון" אל בנימין זאב , ארכיון לשכת הקונגרס הציוני בווינה 1903. https://ly.bit/6zkwkA3

ويعـزى الهـدف الأول لرسـالة أو خطـاب رابطـة «محبـي صهيـون» إلى هرتـزل إلى إبلاغـه بتأسـيس الرابطـة، التـي جـاءت بمبـادرة مـن حكـماء وحاخامـات وتلاميذهم معـاً، سـمعوا وتأثـروا ببعـض الصحـف العبريـة التـي وصلـت إلى مدينتهـم، مثـل صحيفـة «الفصيـح» و»اليهـودي»، شـددوا مـن خلالهـا عـلى ضرورة إرسـال القوانـين التأسيسـية للمنظمـة الصهيونيـة، وكذلـك كل الكتـب العبريـة التـي تـشرح جوهـر الفكـر الصهيـوني، بدعـوى محاولـة إقنـاع المزيـد مـن اليهـود الانضـمام إلى الرابطـة؛ بـل طلبـوا في خطابهـم هـذا صـورة لتيـودور هرتـزل لوضعهـا في مقـر الرابطـة بالمغـرب؛ وسـاهم مائير برشـيت في جمـع التبرعـات عـبر فكـرة الشـيكل الصهيـوني، وظـل رئيسـاً لرابطـة «محبـي صهيـون» في المغـرب حتـى العـام 1922؛ ولكـن بمـرور الوقـت أصيـب بالإحبـاط لعـدم اهتـمام المجتمـع المغـربي بالفكـرة الصهيونيـة، وكذلـك مـن قبـل قـادة الحركـة الصهيونيـة نفسـها، خاصـة أنـه لم يصلـه كتـاب «دولـة اليهـود» لهرتـزل حتـى مماتـه، رغـم إشـارته إلى أن هرتـزل نفسـه، قـد رد عـلى خطابـه هـذا، وهـو مـا شـجعه في البدايـة عـلى حـث يهـود المغـرب عـلى الانضـمام لرابطتـه (محبـي صهيـون)، لكـن زادت دوافـع الإحبـاط لديـه، مـا دفعـه للهجـرة إلى إسرائيـل، التـي تـوفي فيهـا، في العـام 1948 [57].

مـن هنـا، فـإن بدايـة انحيـاز يهـود المغـرب للنشـاط الصهيـوني انطلقـت مـن بوابـة العاطفـة الدينيـة، إذ لم يكـن لديهـم أي معرفـة بالطابـع العلـماني للحركـة الصهيونيـة، أو دوافعهـا الاسـتعمارية، خاصـة أن البـوادر الأولى للنشـاط الصهيـوني ظهـرت في المـدن السـاحلية، التـي كانـت أكـثر تأثـراً مـن غيرهـا بالفكـر الأوروبي، لاحتوائهـا عـلى العديـد مـن الجاليـات الأوروبيـة وأكـثر اتصـالا بيهـود أوروبـا؛ فيـما فـسر معظـم يهـود المغـرب النشـاط الصهيـوني مـن منظـور دينـي، وبأسـلوب ممـزوج بالـورع الدينـي والتقاليـد المسـيحانية التـي ظلـت مسـتمرة بينهـم، فقـد جـاءت أسـاليب اسـتجابتهم للنشـاط الصهيـوني متوافقـة مـع هـذا المفهـوم الدينـي، ولا يمكننـا إغفـال الخلفيـة الاقتصاديـة ليهـود المغـرب، التـي جذبـت قـادة الحركـة الصهيونيـة إليهـم.

57 - المصدر نفسه.

رابعاً: رسالة هرتزل

ساهمت الأرضية الاقتصادية السياسية ليهود المغرب في اهتمام نشطاء الحركة الصهيونية بهم، وتبادل الرسائل معهم، ما فتح الباب أمام دعوة كبار هؤلاء اليهود إلى توجيه رسائل أو خطابات مباشرة لتيودور هرتزل، فيما تم الكشف، مؤخراً، عن رسالة واضحة من هرتزل نفسه طرحت فكرة توطين اليهود في المغرب، أو إقامة «دويلة» يهودية على أرضها.

في الرابع عشر من شهر ديسمبر/ كانون الأول 2020، كشفت صحيفة إسرائيلية، ناطقة باللغة العبرية، النقاب عن رسالة غامضة وسرية، أفادت بأن هرتزل حاول الترويج لفكرة إقامة دولة يهودية على أرض المغرب، وهي الرسالة التي نشرت على خلفية إعلان العاهل المغربي، الملك محمد السادس، استئناف العلاقات بين بلاده وإسرائيل، في العاشر من الشهر ذاته.

بدأت الرسالة التي نشرتها الكاتبة الإسرائيلية، نتسحيا يعقوب، في صحيفة «يديعوت أحرونوت» باللغة العبرية، بالإشارة إلى أن «خطة أوغندا» لتوطين اليهود في منطقة شرق أفريقيا أصبحت جزءاً من كتب التاريخ في المدارس الإسرائيلية، دون أن يعرف الكثيرون ـــــ بمن فيهم غالبية اليهود المغاربة ـــــ أن هناك خطة بديلة أعدها هرتزل نفسه، باسم «خطة المغرب» لتوطين يهود روسيا في المغرب، وهو اقتراح أو خطة تم تقديمها في رسالة غامضة كتبها في العام 1903. وتزامن تاريخ الرسالة مع ما واجهه يهود روسيا في مذبحة كيشينيف، التي جرت في 19-20 أبريل/ نيسان من العام 1903، التي اعتبرت جزءاً من سلسلة من الهجمات دبرت ضد أعضاء من الجماعة اليهودية وغيرهم[58]، بعدها بدأت موجات هجرة جماعية من روسيا وما حولها نحو دول الشرق، خاصة فلسطين، وبدرجة أقل، المغرب نفسها.

على خلفية تلك المذبحة، قدم هرتزل في المؤتمر الصهيوني السادس، الذي

58 - عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ط1، ج4، (القاهرة: دار الشروق، 1999)، ص377.

عقـد في بـازل السـويسرية، في 23-28 أغسـطس/ آب 1903، اقتراحـاً للحكومـة البريطانيـة بتوطـين اليهـود في أوغنـدا، بدعـوى أنـه حـل مؤقـت، وكادت الحركـة الصهيونيـة تنقسـم بسـبب معارضـة اقـتراح الدولـة المسـتقلة في أوغنـدا كـمأوى مؤقـت، وأثـيرت عاصفـة مـن الانتقـادات لهرتـزل، حتـى أطلـق عـلى هـذا المؤتمـر السـادس «مؤتمـر الدمـوع»، ورفـض اقـتراح أوغنـدا، في المؤتمـر الصهيـوني السـابع، الـذي عقـد بعـد وفـاة هرتـزل (3 يوليـو/ تمـوز 1904)، في الفـترة مـن 27 أغسـطس/ آب - 2 سـبتمبر/ أيلـول 1905، في بـازل السـويسرية[59].

تؤكـد أغلـب وسـائل الإعـلام الإسرائيليـة أن موجـة الهجـرة الأولى إلى فلسـطين، حصلـت في الأعـوام (1882- 1903)، وكل المهاجريـن إليهـا كانـوا مؤدلجـين، أي مسيَّسـين، وذوي أفـكار صهيونيـة بحتـة، وأغلبهـم أتـوا مـن روسـيا هربـاً مـن المطـاردات والملاحقـات الأمنيـة، إثـر المذابـح التـي ارتكبهـا الحكـم القيـصري بحـق يهـود روسـيا، خاصـة كيشـينيف، غـير أن 10 ٪ منهـم فقـط بقـوا في فلسـطين، بمعنـى أن فلسـطين كانـت محطـة للانتقـال إلى أماكـن أفضـل، مـن بينهـا الولايـات المتحـدة الأميركيـة[60].

يبـدو مـن تلـك الموجـة أو هـذه الهجـرة أنهـا قـد تمـت بقـوة الدفـع مـن روسـيا، بشـكل خـاص، وليـس بقـوة الجـذب في فلسـطين، فالمعـروف أن لـكل هجـرة عاملـين، عامـل الجـذب: قومـي وثقـافي واجتماعـي، وعامـل الدفـع: مشـاكل سياسـية وضائقـة اجتماعيـة ووضـع اقتصـادي سـيئ، ومـا جـرى في تلـك الهجـرة هـو الهـرب مـن روسـيا، بسـبب المضايقـات ومذابـح اليهـود.

اسـتهلت الكاتبـة الإسرائيليـة، نتسـحيا يعقـوب، ذات الأصـول المغربيـة، تقريرهـا بعنـوان «بديـلا لخطـة أوغنـدا.. هرتـزل أراد إعـلان المغـرب كـ [دولـة اليهـود]»[61]، الـذي أوضحـت مـن خلالـه أنـه في شـهر أبريـل/ نيسـان مـن العـام 1903، توجـه

59 - يعقوب، بدلا من أوغندا.

60 - خالـد سـعيد، **اليهـود الـروس قادمـون.. إسرائيـل إلى أيـن**، ط1، (بـيروت: مركـز باحـث للدراسـات الفلسـطينية والإسـتراتيجية، 2014)، ص 118.

61 - يعقوب، بدلا من أوغندا.

جوزيف تشمبرلين، وزير المستعمرات البريطاني، آنذاك، إلى هرتزل، باقتراح مهم وتاريخي، مفاده توطين اليهود في كينيا، التي تقع في منطقة شرق أفريقيا، وهو ما أطلق عليه في الرسائل والمداولات الصهيونية بـ «خطة أوغندا»، لكن هرتزل نفسه، رفض الاقتراح، بشكل قاطع، بزعم أن «أرض إسرائيل وحدها تشتاق لليهود».

تجدر الإشارة هنا، إلى أنه لم تكن فلسطين هي الحل الوحيد أمام دعاة الصهيونية لتجميع اليهود المشتتين في أصقاع الأرض، بل كانت هناك كندا والأرجنتين وشبه جزيرة سيناء وأوغندا، وغيرها من أقطار العالم، لكنهم استقروا في النهاية في فلسطين، بدعوى الارتباط الروحي والحق التاريخي و»أرض الميعاد»، وغيرها من الأساطير الصهيونية، بل كان الهدف هو أرض، أي أرض[62].

قالت الصحيفة العبرية حول اقتراح هرتزل توطين اليهود في المغرب، إنه قبل أسابيع قليلة من المؤتمر السادس، فكر هرتزل في تقديم اقتراح آخر لتوطين اليهود، في منطقة «وادي الحصان»، غربي المغرب، حيث بعث في العشرين من يوليو/ تموز 1903، رسالة إلى جوزيف كافان، الناشط البريطاني والصديق المقرب، قضت بهذا الأمر[63].

أكد الأرشيف الصهيوني أن تشمبرلين قدم اقتراحاً لتيودور هرتزل يقضي بتوطين اليهود في منطقة شرق أفريقيا، وكان القصد بها كينيا، وإن كانت الخطة قد أطلق عليها، آنذاك، «خطة أوغندا»، وهو ما رفضه هرتزل، رغم اندلاع مذبحة كيشينيف الروسية بحق يهود المدينة (19-20 أبريل/ نيسان 1903)، التي تأثر بها هرتزل، كثيراً، ما دفعه إلى تقديم اقتراحه الخاص بتوطين اليهود في المغرب[64].

62 - رفيق شاكر النتشة، **الاستعمار وفلسطين.. إسرائيل مشروع استعماري**، ط1، (عمّان: دار الجليل، 1984)، ص55.

63 - يعقوب، بدلا من أوغندا.

64 - أرشيف هرتزل، «دولة اليهود في المغرب»، الأرشيف الصهيوني المركزي، القدس. ארכיון הרצל, מדינת היהודים שבמרוקו, הארכיון הציוני המרכזי,

بين مذبحة كيشنيف وانعقاد المؤتمر الصهيوني السادس، في 23-28 أغسطس/ آب 1903، بعث هيرتزل رسالته إلى صديقه الناشط بالحركة الصهيونية جوزيف كافان على شكل شيفرات، مثل معظم مراسلاته مع النشطاء الصهاينة والعملاء السريين، حيث كتبت في شكل رموز، وتم حفظها في أرشيف هرتزل، المعروف بـ «كود هرتزل»، وهو الأرشيف الخاص بالمنظمة الصهيونية العالمية؛ وكان لدى هرتزل ختم خاص باسم «بنيامين»، وهو اسمه العبري، تم حفظ كل رسائله تحت هذه الاسم، وهو الذي ختم به رسالته هذه، أيضاً.

غالباً، ما استخدم هرتزل الشيفرات والرموز عند التواصل مع النشطاء الصهاينة المقربين منه والعملاء السريين حول العالم، وكان اسمه الرمزي «بنيامين»، وأرسل بهذا الرمز الكثير من الرسائل والبرقيات المشفرة، إلا أن أمين أرشيف هرتزل نفسه قد وضع مفتاحاً كاملا لـ«كود» هرتزل، واحتفظت الحركة الصهيونية من بعده بهذا الأرشيف[65].

بعث هرتزل بهذه الرسالة، المكتوبة باللغة الألمانية ـــ أرفقت الكاتبة الإسرائيلية ترجمة للرسالة باللغة الإنجليزية ـــ إلى كافان، وتحدث فيها عن توطين يهود روسيا في المغرب، بدلا من «اقتراح أوغندا»، الذي تم رفضه في المؤتمر الصهيوني الخامس، وتحدث في تلك الرسالة عن الصحفي البريطاني المعادي للصهيونية، آنذاك، أرنولد وايت، الملقب بـ«بلاك» (أسود)، بهدف الاستفادة، بشكل غير مباشر، من معاداة وايت للأفكار الصهيونية، لتوطين اليهود في أي مكان، خاصة المغرب، التي أطلق عليها في رسالته «روكي»، وبأن الأخيرة أفضل من «شمشون» التي تقع في شرق أفريقيا، ويقصد بها أوغندا[66].

أوضح هرتزل في رسالته المشفرة، أن «روكي» (المغرب) بلد متاح، يمكن

ירושלים. https://bit.ly/1FzGLH3

65 - يعقوب، بدلا من أوغندا.

66 - المصدر نفسه.

استعماره، والظروف التي تعيشها تسمح للحركة الصهيونية بتوطين يهود روسيا فيها، بدعوى أن الفوضى السياسية التي عاشتها المغرب مطلع القرن العشرين يمكن أن تؤدي إلى اجتياح من أحد أطراف القوى حول العالم، مع إشارته إلى أن هناك أربع قوى تطمح إليها. في وقت شدد على صديقه، جوزيف كافان، ألا يطلع أو يعلم أرنولد وايت، باقتراحه هذا.

عَزت «يديعوت أحرونوت» ذكر اسم «بلاك» أو أرنولد وايت في الرسالة إلى أنه كان أحد أبرز النشطاء الساعين إلى وضع حد نهائي لهجرة اليهود إلى بلاده (بريطانيا)، خاصة من روسيا، حتى إن القيصر الروسي عرض، في نهاية القرن التاسع عشر، إقامة مستعمرة يهودية في الأرجنتين، لتحويل مسار المهاجرين اليهود الذين تآمروا على إضعاف الإمبراطورية البريطانية، وسعوا إلى تدميرها.

استشهدت الصحيفة بيعقوب حاجويل، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، بشأن توضيحه أن الحركة الصهيونية قد ركزت اهتمامها باليهود في المغرب نفسه، أو في منطقة شمال أفريقيا بشكل عام، وأن هرتزل ذاته كان رجلا براغماتياً للغاية، ووجد حالة من الاضطهاد والتهجير ليهود روسيا وشرق أوروبا، فحاول استغلال ازدهار يهود المغرب، واتساع نشاطهم الاقتصادي في توطين هؤلاء اليهود المضطهدين في المغرب[67].

رسالة هرتزل بتوطين اليهود في المغرب لم تأت من فراغ، فيهود تلك البلاد، غالباً، ما تمتعوا بميزات مختلفة عن غيرهم من يهود العالم، سواء من كونهم نعَموا بالحرية السياسية، أو حرية الحركة والتعبير عن الرأي، وهي الحرية التي جاءت على خلفية رحابة الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي اتسمت بها المدن المغربية قاطبة، والاقتصاد السياسي الذي سمح بذلك، رغم الإشارة إلى أن كل يهود المغرب ليسوا من الأثرياء، ولكن كان من بينهم الفقراء والمعدمون أيضاً، وقد ساعدت الفوضى

67 - المصدر نفسه.

السياسية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فضلا عن تواجد كبير للجاليات الأوروبية في المغرب، على انتشار الأفكار الصهيونية في البلاد.

من هنا، لم يكن «الخيار المغربي» جديداً، قبيل الكشف عن رسالة هرتزل، حيث كشف البروفيسور يوسف شطريت، من قسم اللغة العبرية بجامعة حيفا الإسرائيلية، أن اقتراح المغرب وطناً لليهود تم طرحه للمرة الأولى لأرنولد وايت «بلاك»، بوقت طويل، من قبل شقيقين من طبريا، باروخ ويعقوب موشيه توليدانو، وهما ابنان لمهاجرين من مدينة فاس المغربية، لكنهما كانا ناشطين في الحركة الصهيونية، آنذاك؛ حيث توجه باروخ برسالة إلى هرتزل قبيل وفاته بعدة أشهر، أفادت باقتراح جاد لتوطين اليهود في المغرب، وإقامة دولة مستقلة لليهود في «وادي الحصان»، غربي البلاد، وهو الخطاب أو الدعوة نفسها التي توجه بها إلى حاخام فرنسي كان يقيم في مدينة فاس، ويدعى فيدال، وكان مقرباً من البلاط الملكي والحكومة المغربيين، والذي كان دارساً جيداً للسياسة الداخلية المغربية، وأدرك أنها خطة وهمية، بدعوى أنها لم تأخذ في الاعتبار الوضع الداخلي للمغرب.

لم توضح الكاتبة الإسرائيلية، نتسحيا يعقوب، في تقريرها المطوَّل ذلك الأمر، ولكن يبدو أن تواجد جاليات أوروبية كثيرة ومتباينة، واستشراء الفوضى السياسية، وارتفاع عدد الفقراء بين يهود المغرب، في هذه الفترة، حال دون اهتمام فيدال بخطاب باروخ موشيه توليدانو؛ ووضع هذا الخطاب في أحد الأدراج؛ وهو ما كشف عنه، لاحقاً، حفيد الحاخام الفرنسي، فيدال، حينما عثر على خطاب باروخ ويعقوب توليدانو[68].

كتب باروخ توليدانو، في العام 1909، أنه على مدى خمس سنوات سابقة لهذا التاريخ، عرض على هرتزل، حينما كان على قيد الحياة، أي

68 - المصدر نفسه.

حتى العام 1904، خطة قضت بمنح أرض لتوطين اليهود في المغرب، وأنه تلقى، فعلياً، رداً من رئيس المنظمة الصهيونية «هرتزل»، آنذاك، أفاد بأن اقتراحه هذا مثير ويستحق الاهتمام، وبعد عدة أشهر وصلته إجابة ثانية بأن الاقتراح المذكور قد تم رفعه إلى اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية لمناقشته، لكنه، منذئذٍ، لم يسمع شيئاً آخر عن هذا الاقتراح، مرجحاً أن حالة الانقسام التي سادت المؤتمر الصهيوني السابع قد حالت دون بحث اقتراحه هذا.

لم يكتف البروفيسور يوسف شطريت، بكشفه عن اقتراح توليدانو الذي سبق رسالة هرتزل بشأن توطين اليهود في المغرب، وإنما كشف النقاب عن خطط صهيونية أخرى سابقة لتلك الخطة، قضت بمحاولة توطين اليهود في كل من الولايات المتحدة الأميركية، حيث ظهرت خطة مماثلة، في العام 1820م، لإنشاء إقليم يهودي مستقل بالولايات المتحدة غير مأهول بالسكان، وذلك قبل أن يحلم أي شخص بالصهيونية؛ ولم تقف الاقتراحات الصهيونية عند هذا الحد، بل شملت تلك الاقتراحات توطين اليهود في كندا، أو سويسرا، أو العراق، أو سوريا، حيث تمت أرشفة هذه الخطط جميعها، بعد موت هرتزل المفاجئ، مرجحاً وجود خطط صهيونية أخرى، لأماكن مختلفة حول العالم طرحت توطين اليهود فيها، ولا شك أن تفكير نشطاء الحركة الصهيونية، آنذاك، قد اتجه، وبقوة، ناحية فلسطين[69].

في هذا الصدد، يقول ليو بنسكر، في مقالته «التحرر الذاتي»: «يجب أن نجد وطناً لهذا الشعب، حتى نكف عن التجوال في العالم، وليس من الضروري الحلم باستعادة أرض يهوذا القديمة، فلا داعي أن نربط أنفسنا بالمكان الذي تحطمت فيه حياتنا السياسية وتوقفت، ليس من الضروري أن يكون هدفنا استعادة الأرض المقدسة، وإنما من حقنا المطالبة بأرض، أي أرض، أي قطعة من الأرض تكفي لإخواننا من البؤساء، قطعة أرض

69 - المصدر نفسه.

تكـون ملـكاً لنـا، ولا يسـتطيع أحـد أن يطردنـا منهـا»[70].

نقلـت الصحيفـة العبريـة في تقريرهـا المطـوَّل عـن خطـاب هرتـزل، عـلى لسـان سـيرجيو باردوغـو، رئيـس الطائفـة اليهوديـة في المغـرب، ووزيـر السـياحة السـابق في بـلاده، عـدم علمـه المطلـق بـأي خطـط لإقامـة «دولـة يهوديـة في المغـرب»، وأنـه لأول مـرة في حياتـه يسـمع شـيئاً بهـذا «الجنـون والوهـم» ـــ عـلى حـد وصفـه ـــ بدعـوى أن عائلتـه تقطـن المغـرب منـذ العـام 1492م، أي بعـد طردهـم مـن الأندلـس، عـلى خلفيـة محاكـم التفتيـش، لم تسـمع قـط عـن هـذا الاقـتراح، كونـه متابعـاً جيـداً لـكل مـا تـم تداولـه عـن الوطـن القومـي لليهـود، حيـث شـدد عـلى عـدم سـماعه مثـل هـذا الاقـتراح مـن قبـل[71].

خاتمة

تعـود بدايـات التواجـد الفعـلي لليهـود في المغـرب إلى مطلـع القـرن الثالـث الميـلادي، حيـث أقـام الوافـدون الجـدد في أوسـاط قبائـل الأمازيـغ «البربـر» المنتـشرة في مختلـف ربـوع بـلاد المغـرب، خاصـة في المناطـق الداخليـة؛ امتـزج هـؤلاء في فـترات لاحقـة مـع إخوانهـم الذيـن وصلـوا إلى المغـرب مـع الفينيقيـين مـن البحـر الأبيـض المتوسـط، ابتـداء مـن القـرن الثـاني عـشر قبـل الميـلاد، أو الذيـن لجـأوا إلى المغـرب في القـرن السـابع الميـلادي، هربـاً مـن الرومـان، أو لطردهـم مـن الأندلـس في العـام 1492م، حيـث توالـت الهجـرات اليهوديـة إلى المغـرب، نتيجـة للنفـي والترحيـل والطـرد لليهـود والمسـلمين، في آن، مـن الأندلـس في العـام نفسـه، بسـبب محاكـم التفتيـش.

اندمـج اليهـود في حيـاة المجتمـع المغـربي، منـذ أن اسـتوطنوا الأراضي المغربيـة، وكانـوا عـلى قـدر كبـير مـن النشـاط الاقتصـادي والاجتماعـي، ولم تقتـصر أنشـطتهم عـلى المعامـلات التجاريـة الضخمـة، وإنمـا شـملت الاشـتغال في

70 - عبـد الـرازق سـيد سـليمان، **مفهـوم الشـتات اليهـودي في الروايـة العبريـة المعـاصرة في إسرائيـل**، رسـالة دكتـوراة غـير منشـورة، كليـة الآداب، جامعـة عـين شـمس، 2004، ص67.

71 - يعقوب، بدلا من أوغندا.

مجالات التجارة كافة، وفي مجال الوساطة التجارية بين القرية والمدينة، وبين المدينة وغيرها من المدن الكبرى في المغرب، وامتد نشاطهم الاقتصادي حتى باتوا حلقة الوصل بين المغرب والدول الأوروبية.

تأثر يهود المغرب برحابة وسعة صدر الحكام والملوك المغاربة، على مر التاريخ، وسماحتهم الدينية في البقاء بالمغرب، وتكوين ما يشبه الاقتصاد الخاص بهم، فقد نالوا حقوقهم كاملة، في أغلب الأزمنة، باعتبارهم «أهل ذمة»، وساعدت قوتهم الاقتصادية والاجتماعية في «توطيد» أركانهم في الأراضي المغربية، منذ أن وطأوها قبيل آلاف السنين، رغم عددهم الكبير، نسبياً، مقارنة بيهود الدول العربية.

ساهمت قوة نشاطهم التجاري وسيطرتهم في بعض الفترات التاريخية على مقاليد الأمور في بعض مدن المغرب، في عزم أحد هؤلاء اليهود، وهو هارون بن مشعل على إقامة «دويلة» أو «وطن» قومي لليهود، في العام 1660م، حينما استتب له الأمر، بشكل كبير، في إحدى مدن المغرب، وبعدما كوَّن شبكة علاقات قوية بدول أوروبية، اقتصادياً وسياسياً، لكن مقتله عرقل تلك الفكرة، تماماً، حتى عادت الفكرة، مجدداً، خلال تبادل الرسائل بين هؤلاء اليهود وهرتزل ونشطاء الحركة الصهيونية، مطلع القرن العشرين.

وجدت الحركة الصهيونية في حالة التدين الكبيرة في صفوف اليهود المغاربة أرضاً خصبة لبث أفكارها وجذب اليهود المغاربة للالتحاق بصفوفها أو اعتناق مبادئها، دونما التفكير في مصيرهم الحقيقي وتحسين أوضاعهم الاقتصادية وأحوالهم الاجتماعية، وانتشالهم من حالة الفوضى السياسية والحرب الأهلية، التي بدأت تطل برأسها في المغرب، نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، **فلم يول نشطاء الحركة الصهيونية يهود المغرب الاهتمام الكافي، ولا مصيرهم في بلدهم، قدر ما اهتموا بأموالهم، من خلال التبرعات التي كانوا يرسلونها لفلسطين،**

وكذلك الحصول على دعمهم المعنوي لأفكارهم الصهيونية، آنذاك، قبيل إنشاء دولة إسرائيل.

على الرغم من وجود قلة من يهود المغرب تمارس النشاط الاقتصادي والتجاري مع دول الجوار والدول الأوروبية، وارتباط فئة من هؤلاء اليهود بالحركة الصهيونية، فإن **غالبية يهود المغرب نظرت لأفكار الحركة الصهيونية من منظور ديني بحت، وفسرت هذا الفكر بأسلوب ممزوج بالورع الديني والتقاليد المسيحانية وتعاملت مع مسألة الهجرة إلى فلسطين، والفكر الصهيوني، على أنها واجب ديني، بغرض إثبات عقيدتهم وهويتهم في أرض أجدادهم.**

جاءت عملية نشر رسالة هرتزل الغامضة والسرية، والخاصة باقتراحه إقامة وطن قومي لليهود في المغرب، استكمالا لحالة انتشار الفكر الصهيوني بين كثير من يهود المغرب، وإرضاءً لبريطانيا بعد هجرة أعداد كبيرة من يهود روسيا إليها، واستيطاناً لهؤلاء اليهود (يهود روسيا)، الفارين من مذابح روسيا القيصرية، الذين هُجّروا من بلادهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- **الموسوعات**

- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ط1، ج4، (القاهرة: دار الشروق، 1999).

- **رسائل جامعية**

- إكرام مساك وشريفة صالحي، **النشاط الصهيوني ليهود المغرب العربي (1897-1967)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي، الجزائر، 2018.

- عبد الرازق سيد سليمان، **مفهوم الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة في إسرائيل**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2004.

ج-الكتب

- أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 3، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

- أحمد شحلان، **اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة**، (الرباط: دار أي رقراق، 2009).

- حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب.. تاريخ . ثقافة . دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، (الدار البيضاء، 1987).

- خالد سعيد، **اليهود الروس قادمون.. إسرائيل إلى أين**، ط1، (بيروت: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، 2014).
- رفيق شاكر النتشة، **الاستعمار وفلسطين.. إسرائيل مشروع استعماري**، ط1، (عمّان: دار الجليل، 1984).
- صموئيل أتينجر، **اليهود في البلدان الإسلامية (1850 – 1950)**، ترجمة جمال الرفاعي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1995).
- فيليب فارج ويوسف كرباج، **المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي**، ترجمة بشير السباعي، ط1، (القاهرة: دار سينا للنشر، 1994).
- محمد عبد المجيد بحر، **اليهود في الأندلس**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970).
- هدى درويش، **أسرار اليهود المتنصِّرين في الأندلس .. دراسة عن اليهود المارانوس**، ط1، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2008).

- د- **دوريات**

- أحمد الشحات هيكل، «يهود المغرب تاريخهم وعلاقاتهم بالحركة الصهيونية»، **سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد 35.
- حسن ظاظا، «اليهود في إسبانيا الإسلامية»، **مجلة الفيصل**، الرياض، العدد 216، نوفمبر/ديسمبر 1994.
- عبد الهادي التازي، «الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل»، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 21، د.ت.

- _____، «إمـارة ابـن مشـعل اليهوديـة»، **مجلـة دعـوة الحـق**، وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، الربـاط، العـدد 203، د.ت.

د- **مواقع إلكترونية**

- أحمـد البنهـسي، «المـلّاح»: المجتمـع اليهـودي في المغـرب»، إضـاءات، القاهـرة، 2019/7/8.
- عبـد الإلـه بسـكمار، «عندمـا قلبـت واقعـة المـولى الرشـيد وابـن مشـعل موازيـن الحكـم بالمغـرب»، هسـبريس، الربـاط، 2020/5/17.
- عبـد الحكيـم الرويـضي، «الوجـود اليهـودي في المغـرب.. مـن خـراب الهيـكل إلى تأسـيس الكيـان»، نـون بوسـت، 2012/2/9.
- عبـد الصمـد الزعـلي، «يهـود البـلاط.. حكايـات مثـيرة لرجـال «حكمـوا» رفقـة سـلاطين المغـرب»، المسـاء، الربـاط، 2014/2/2.
- عـمار قـردود، «اليهـود فكـروا في إقامـة دولـة لهـم عـلى أرض المغـرب مرتـين»، أفريـكا نيـوز، الربـاط، 2021/12/26.
- مصطفـى الخلفـي، «يهود المغـرب والتعايش اليهـودي العـربي»، الجزيـرة، الدوحة، 2004/12/22.
- يوسـف الدحـماني، «عندمـا فكـر اليهـود في إقامـة دولـة لهـم عـلى أرض المغـرب»، يـا بـلادي، الربـاط، 2020/12/17.
- «هارون بن مشعل»، المغرب تايمز، الرباط، 2021/8/31.
- «يهـود البـلاد.. حكايـات مثـيرة لرجـال «حكمـوا» رفقـة سـلاطين المغـرب»، المغرب تايمـز، 2022/2/4.

ثانياً: المراجع العبرية

- **מראכזבחטיה**

- ארכיון לשכת הקונגרס הציוני בווינה

יוסף שיטרית,מכתב מאת מייסדי האגודה הציונית "אהבת ציון" אל בנימין זאב , ארכיון לשכת הקונגרס הציוני בווינה, 1903.

- הארכיון הציוני המרכזי

ארכיון הרצל, מדינת היהודים שבמרוקו, הארכיון הציוני המרכזי, ירושלים.

- מכון בן-צבי לחקר קהילות ישראל במזרח

חיים סעדון ,קהילות ישראל בארצות המזרח במאות התשע-עשרה והעשרים".. מרוקו, מכון בן-צבי לחקר קהילות ישראל במזרח,משרד החינוך התרבות והספורט , ירושלים.

- המרכז העולמי למורשת יהודי צפון-אפריקה

מערך היחסים יהודים עם בית המלוכה, המרכז העולמי למורשת יהודי צפון-אפריקה, ירושלים.

ب- الصحف

- ידיעות אחרונות

- נצחיה יעקב, במקום אוגנדה: כשהרצל רצה להכריז על מרוקו כ"מדינת היהודים, ידיעות אחרונות, 2020/12/14.

د-مواقع إلكترونية

- קהילת יהודי מרוקו, מוזיאון העם היהודי, תל אביב,1996.

-קהילות ישראל - יהדות פאס-דיוקן של קהילה, משרד החינוך, תל אביב.

مركز الأبحاث
research center

www.prc.ps +970-2-2966228 info@prc.ps